غادة خالد
بدون مُقابل
رواية
دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني ٢٠٢٠

بدون مقابل

رواية قصيرة

غادة خالد الحداد

العنوان: بدون مقابل

النوع الأدبي: رواية قصيرة

المؤلف: غادة خالد الحداد (نبذة)

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2020

الحالة: حصريًا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 57

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إلى الارواح النقيّة التي تشعر بالألم وحدها...

إلى كل حبيبة.

سيمفونية سكون

لذات القلب الحنون

إلى التي كانت دائما تذكّرني برحمة الله وأنها تحاوطنا من كل جانب ، فما بالنا بمن انتقل إلى رحمة الله!

أتذكر أنها كانت جميلة كالليالي العشر ... كانت تدعو أن يظلّني الله يوم الحشر.

إني أشهد أن الذي خلقك لا إله إلا هو ، فالقادر على خلق ذلك الوجه بلا شك ليس كمثله شيء.

لا يبدو عليك الحزن كما تدّعين ربما لأنك مخلوق السعادة أو لأنك خُلقتي تبتسمين.

لاحظت مؤخرا أنك تصمتين فدعيني أروي عليهم قصتك يا حبيبه.

غادة خالد الحداد

•••••

اليوم هو الأول لي في الجامعة، ظننت أنه بمجرد دخولي مبنى الكلية سأرتطم بأحدهم وتقع كتب كلانا على الأرض ونميل لنلتقطهم فتتلاقى أعيننا وتبدأ قصة جديدة وبالفعل بدأت قصة لكنها أنهتني تمامًا!

كان يشبه الأطفال بعينين جميلتين جدا تلمعان كالنجوم في وسط السماء، رمقني بنظرة حانية وظللت أحلم به ثم تحوّل هذا الحُلم لكابوس أفزعتني ذكراه كل عام في نفس الموعد.

مازلت أذكر ذلك العطر الذي كان يضعه ورائحة ملابسه التي كانت تخنق روْحي كلما جلست خلفه تماما، كانت تضمني لحد الاختناق وبالفعل اختنقت.

"إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون"

كان سيدنا يعقوب لايزال يتذكر رائحة يوسف عليهما السلام لأنه أحبّه كثيرا وأنا مازلت أتذكر رائحتك لأني أبغضك جدا إلى الحد الذي يجعل رائحتك عالقة في ذهني كأنها حدث كوني يستحيل نسيانه. يكفي حديث عنك فأنت لا تستحق سوى بضع أسطر في قصتي.

"كلا، فوالله لا يخزيك الله أبدا"

خديجة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)

لا شك أن الله الذي خلقنا وخلق بداخلنا القدرة على الحلم لن يضيّعنا.

الأحلام تتغير والكابوس واحد، وفي كل مرة عليك أن تستيقظ من هذا الكابوس مُعافى بداخلك طاقة جديدة تبعث لك القدرة على تخطي نفس الكابوس مرة أخرى.

تلك كانت المرة الأولى التي تخور فيها قواي ولم تكن الأخيرة، لا تنظر لي هكذا فأنت سيء جدا ولن أصدق العكس .

مهلا! حتى أسطري خانتني وقررت أن تكون عنك مرة أخرى.

سأبحث عن عالمي الخاص وأزينه بحضوري وتأكد أن رائحتك لن تحيط سطوري.

أنا يا صديقي أمتلك أخ وأخت وكلاهما رائعين جدا وقد كان أخي يصغرني بعامين بينما أختي تكبرني بثلاث أعوام وكانت تمتلك عيون جميلة وشعرها طويل بني اللون وحظيت بقدر من احمرار الوجنتين وقد ورثته عن أمي وفي أحد الأيام كانت تجلس بجوار شرفة غرفتها وتنظر للسماء وفي يدها كتابها المفضل وكلما همّت بالمذاكرة استوقفتها إحدى النجمات كأنها تحاول الاقتراب من القمر.

هدى تجلس كل يوم في نفس المكان شاردة الذهن وهي تضع القليل من عطر أمي وترتدي وشاحها الذي تتدلى منه بعض شعراتها فيرى المارّ بجوار النافذة انعكاس ضوء القمر على شعرِها البني اللامع وعلى عينيها التي تشبه العسل.

حاولت قطع شرودها بحديثي فأنا ثرثارة كما يصفني الجميع

-بتعملي ايه يا هدى؟

بذاكر

-فطرتي؟

أيوة ، وهروح الكلية

-متنسيش معاد انهاردة

أي معاد؟

-العريس يا هدى دي حاجة تتنسي

ايوة عريس الغفلة افتكرت

-هههههه طيب ياختي

مرّ يومان على تفكير أختي والجميع في ترقب ثم جاء الرد منها وحاولت اقتلاع

السبب منها والذي كان يبدو سخيفاً بالطبع

-رفضتي العريس ليه يا حجة؟

مخطفنيش

-ما إيه معلش!!

بقولك مخطفنيش

-مخطفكيش ازاي يعني!

محستش بيه ومتشدتش ليه

-يا بنتي ده عينه عسلي

قولتلك أكتر من مرة مش بالشكل

-أومال بإيه بقى؟

بأول ما يبدأ يتكلم ، يعني في واحد يفتح كلام بكلمة ازيك وتسمعها كأنها بحبك

فتبقي عاوزة تقوليله ازيك جدا وفي واحد يقولك ازيك فتبقي عاوزة تقوليله

الله يسلمك شالله يخليك .. فاهمة حاجة؟

-يعني مش بالشكل بس بالصوت ولا إيه!

اما تكبري هبقى اقولك

بعد مرور شهرين تقدّم أحدهم لخطبتي وأتذكر أنه كان يشبهك حين تتحدث لكنه

في النهاية لم يكن أنت.

جاءت أختي لتسقيني من نفس الكأس الذي أسقيتها منه تقريبا

-رفضتي العريس ليه يا أبلة حبيبة؟

جاوبتها بكل بساطة "مخطفنيش"

*****

جميعنا كان يجب أن يرحل منذ انقباضة صدورنا الأولى ولم نفعل.

زرتني الليلة الماضية في أحلامي وكنت تنظر إليّ وكأني اقتلعت قلبك من بين أضلعك.

استيقظت وارتديت ملابسي ولأن اليوم الجمعة قررت أن أذهب لزيارة إحدى صديقاتي التي تُدعى مَلك ، يبدو أن من اختار الاسم كان يعلم أنها حين تكبُر ستشبه الملائكة حقا.

طرقت باب منزلها وهممت بالمغادرة لكنها فتحت الباب وكانت تنظر لي بخوف شديد وكأني أحمل مطرقة في يدي.

ملك كانت قصيرة القامة وتبدو كطفلة صغيرة بريئة وعلى عكس جميع صديقاتي

امتلكت ملك عيون زرقاء وشعر أصفر كالأجانب تماما وهذا ما جعل الجميع يظن

أنها نالت قدر كافي من اسمها.

أردت خلع هذا الخوف من بين روحِها فبادرت بالحديث حين لم تدعوني للداخل.

-ازيك يا ملك

أهلا يا حبيبة

-مش هتقوليلي اتفضلي ولا ايه؟

اتفضلي طبعا

ما هذا الشعور؟ إنه نفس شعوري حين تكون متواجد بنفس المكان الذي أنا به..

ويبدو أنك متواجد بالفعل!

لم أجد سوى سؤال بديهي جدا يخرج من بين شفتاي

-طارق بيعمل ايه هنا يا ملك؟

افهمي بس يا حبيبة انا هوضحلك

-توضحي ايه انتي مجنونة! انا قولتلك كل حاجة!

انتي عارفة انه ابن خالي يا حبيبة وبعدين ده جاي نذاكر مش أكتر

-يعني من وسط كل الناس اللي في الكلية ملاقيتيش غير طارق!

نظرت ملك إليّ ولم تعقب، يبدو أنه حدث ما كانت تخشاه

اقتربت أنت وحاولت إمساك يدي ودفعي للداخل وأنت تتمتم "ادخلي وهنتفاهم"

فما كان منّي إلا أن أمسكت مزهرية وحاولت دفعك بها وأثناء محاولاتي لتفلت يدي

حطّمت المزهرية لكن ليس على رأسك، بل على رأس ملك التي كانت تحاول أن

تبعدنا عن بعضنا ثم سقطت على الأرض.

كنت أصرخ بكل قوتي قائلة مقتلتهاش والله ما قتلتها فأيقظتني أختي وضمّتني

بشدة وأخبرتني أنه كان كابوسا والحمد لله أنه كان مجرد كابوس كل ذلك كان مجرد

كابوس.

في نفس اللحظة دخل أبي ونظر إلينا بحزن ثم قال:

-حبيبة فوقي يا حبيبتي عشان نروح نعزي أهل ملك

نعزيهم في مين يا بابا؟

-ملك صحبتك .. لاقوها الصبح مقتولة بخبطة على دماغها..

*****

اليوم فقدت أعز صديقاتي ، كان يومًا عصيبًا وشعرت وكأن العالم انقلب على رأسي .. المؤسف حقاً أني لم أحادثها منذ ثلاث شهور لأنها أعطتني القدر الكافي من الحزن لكن ربما لو علمت مسبقاً أني سأفقدها لم أكن لأتوقف عن التحدث معها لحظة وأدرك جيداً الوقت يمرّ سريعا ليجعل الأشياء الكبيرة صغيرة بما يكفي.

جاءت أختي إلى غرفتي للتحدث معي وجميع من في البيت يعلم أني أمرّ بمرحلة إنكار قاسية جدا.

-يا بشمهندسة حبيبة

مس لو سمحتي

-طيب يا دكتورة كفاية كتابة مذكرات واستعدي عشان الناس اللي جاية حاضر

-سمعت انه كان عندك امتحان

يا هدى الامتحان الحقيقي مش هنا ، في الاخرة ان شاء الله يا قلبي

-هتشيلي يعني؟

هشيلك انتِ دلوقتي ارميكِ من الشباك لو ممشيتيش حالا

-ماشية ياختي وابقي اعملي الأكل لنفسك

أتذكر أنه كان قصير القامة وبشرته سمراء قليلا، وقد امتلك من الوسامة القدر الكافي لإيقاع أي فتاه في شباكه لكنه أخذ يتحدث وكأنه قد ورثني عن جده الأكبر.

- بصي يا آنسة حبيبة بصراحة كدة انا عاوز إنسانة تكون شاطرة جدا في شغل البيت يعني مفيش تقصير في البيت ومن ناحية تانية تكون مثقفة وعندها فكرة عن أساليب التربية الحسنة وطبعاً معنديش مانع انك تشتغلي وتكمّلي دراستك لو حابة وممكن اشجعك تعملي دراسات عليا.

هذا ما قاله لي وأتذكره جيداً كما أتذكر أنه احتسى كوب العصير كاملاً وتذمّر أنه كان يجب وضع القليل من السكر الإضافي.

كالعادة حاولت اختي انتزاع الرد لأن أبي في كل مرة كان يعجز عن ذلك فيستعين بنا

للقيام بهذه المهمة.

-ها يا حبيبة ، ايه رأيك؟

في ايه؟

-في العريس

من انهي اتشجاه

-هو انتي يا بنتي متعرفيش تتكلمي بجد أبدا!

مهو بصراحة الموضوع مش محتاج تفكير هو باين من اولها

-طيب هقول لبابا يقولهم كل شيء قسمة ونصيب

ياريت والله يبقى كتّر خيرك

*****

دعني لأرتاح في عينيكَ من قسوة العالم الخارجي

شعرت بطيفك خلفي وكنت تجول في غرفتي وكأنه بيتك، نظرت لي بحب كما تفعل دائماً لكنني لم أعد بتلك السذاجة ولم يعد يجذبني وقع ابتسامتك على قلبي أو تحريكك لشعرك الأسمر بأصابعك أثناء الحديث.

قررت أن تبدأ الحوار متلفظاً بإسمي وقد بدا وكأنك تنطقه لأول مرة.

-حبيبة

انت بتعمل ايه هنا؟

-محتاج أتكلم معاكي

تتكلم معايا ف ايه! ودخلت هنا ازاي أصلا؟؟

-مش موضوعنا دلوقتي ، انتي لازم تساعديني نعرف مين عمل كدة ف ملك..

أساعدك بمناسبة إيه!

-بمناسبة انه احتمال اسمنا ييجي في القضية

بص يا طارق أيا كان اللي بتحاول تعمله فمش هينجح

-بس انتي لسة بتحبيني وهتساعديني

بتعجبني فيك ثقتك في نفسك بس انا ولا لسة ولا هساعدك

-ولا لسة ايه مش فاهم!

بحبك ... ولا لسة بحبك

-بصي يا حبيبتي الخاتم بتاعك لاقوه في مسرح الجريمة وانا اللي كنت مديهولك

وأهل ملك عارفين كدة فطبيعي نبقى موضع شك.

متقولش يا حبيبتي بس! ثم إن الخاتم ده انا رمتهولك من زمان ياريت تكون لسة

فاكر وكمان مفيش حاجة تثبت انه بتاعي

-لأ فيه .. لما كنت عاوز ارجعهولك حفرت اسمك عليه واديته لملك تدهولك بس

معرفش ايه اللي أخّرها

انت غبي جدا ياريتني ما عرفتك

-غبي عشان حبيتك!

امشي يا طارق وإلا هنادي بابا .. يا باباااااا

*****

الله هو الأمان في فوضى هذه الأرض.

كان أبي جميلًا جدا وحين غطّى الشيب شعره ازداد جمالًا وبعد رحيل أمي صار كالأم الحنونة.

نظر لي أبي بشفقة شديدة وقال:

-يا بنتي طالما عاوزة تنامي قومي نامي في اوضتك، بقالك 3 أيام صاحية مش هعرف يا بابا هفضل قاعدة هنا عشان منامش

*****

ذهب الجميع للنوم وتركوني مستلقية على الأريكة أمام التلفاز وفجأة انقطعت الكهرباء وصار كل شيء مظلمًا وظهرت فتاه جميلة ترتدي وشاح أبيض يشبه وشاح أمي واقتربت ثم نظرت في عيناي مباشرة .. إنها ملك وإنه وشاح أمي

أخذت تتحرك في أرجاء الغرفة وهي تميل برأسها جهة اليمين ثم اقتربت مرة أخرى

وصرخت في وجهي

قتلتيني ليه يا حبيبة!

محصلش يا ملك والله ما حصل

-عملتلك إيه لده كله؟

مش انا اللي قتلتك صدقيني

تغيرت نبرة صوتها وازدادت حدته

-أنا حبيته غصب عني وانتي اللي سيباه من الأول

أيوة انا اللي سبته عشانك ولأني عارفة انك كنتي بتحبيه، يبقى ليه هقتلك!

-عشان عرفتي اني حامل فصعبت عليكي نفسك

كنتي حامل!

-انتي كنتي عارفة

مكنتش اعرف صدقيني

-ولما مش انتي اللي قتلتيني .. ده بيعمل ايه عندك!

أيقظتني أختي لأذهب للكلية

-الحمد لله أخيرا نمتي شوية

هدى أنا عاوزة أقولك حاجة

-قولي يا حبيبة خير ايه اللي حصل؟

طارق كان هنا امبارح ووو....

- طارق مين يا حبيبة! ، ده سافر اليابان من يومين عشان الشغل وانا نسيت

أقولك.

*****

الموت هو الحقيقة الكبرى التي لا مفرّ منها وهناك أرواح تموت وهي مازالت على

قيد الحياه، تعيش بجسدها فقط بين الأحياء ولا ينالها حتى دعائهم كالأموات.

كنا نجلس سويا أنا وصديقاتي لنحتفل بانتهاء الاختبارات ، قصدنا حديقة ما وجلسنا تحت شجرة ينعكس عليها ضوء الشمس لنلتقط بعض الصور وأثناء شجاراتنا المعتادة حول من يلتقط السيلفي قالت مريم صديقتنا الشقراء كما كنا ندعوها: - الصورة ناقصة ملك يا بنات

جميعنا كنا ندرك ذلك لكننا نحاول أن نتصرف وكأنها مازالت معنا وتحتفل بانتهاء الاختبارات أيضا

ردّت عليها سارة في حزن: راحت عند اللي أحسن مننا كلنا .. عارفين ايه اللي مضايقني فعلا؟ انها معملتش حاجة وحشة ف حد عشان يقتلها.

فقالت سالي: بيقولوا حادث سرقة.

هنا اندفعت دون إدراك لما كنت أقول: لأ مش سرقة دي حاجة تانية

نظر الجميع في اندهاش ولسان حالهم يقول (عرفت منين دي)؟

ثم أكملت: مفيش حاجة ناقصة من البيت يبقى مش سرقة.

فعادوا لحديثهم ثم تحدثت مريم مرة أخرى:

صعبانة عليا ملحقتش تاخد رزقها من الحب

وهنا جاء دوري المعتاد لتخفيف شدة الموقف:

بصي يا مريم الأرزاق متقسمة بالعدل يعني كل واحد بياخد نصيبه بس بدرجات متفاوتة، يعني ممكن حد رزقه يكون زيادة في الأهل وممكن حد رزقه يكون زيادة فلوس وممكن حد رزقه يكون زيادة في الحب وممكن في الذرية الصالحة وممكن في الصحة وهكذا إنما الأكيد انه كلنا بناخد رزقنا في حاجات معينة واللي بيبقى عنده نقص في حاجة ربنا بيعوضهاله في حاجة تانية.

عدنا لمنازلنا وقلوبنا يملؤها الأسى

دخلت إلى غرفتي دون أن ألقي التحية على أبي وإخوتي.

البعض يظن أن الشخص الجيد وُلد ملاكًا ليرشدهم أو أن الشخص الناجح خُلق ناجِحًا فقط ليلهمهم لكن في الحقيقه أن ما مررنا به في الماضي وما كنا عليه هو مفتاح ما نحن عليه الآن .

فما كان في الماضي صار له ، ونحن ما زلنا على قيْد الأمل.

When someone is in love, he seems to be at the center of the universe

قاطَعتني أختي كما كانت تفعل دائما

-بتكتبي ايه يا حبيبة؟

سيبيني ف حالي بقى ابعدي عني بقى

-كملي وبعدين

محدش سامعني ليه؟ محدش شايفني ليه

-ده بجد! وحصل امتى؟

عاملة أكل ايه انهاردة يا هدى؟

-عاملة بانيه ومكرونة واعملي حسابك هتستلمي الشغل من بكرة

ده بدل ما تستقبلي أختك بحلة محشي بعد شهر الامتحانات ده

-معلش .. مقولتيش بتكتبي ايه؟

جملة عجباني مش أكتر

-طيب عاوزاكي في موضوع

خير اللهم اجعله خير

-انتي كويسة؟ أنا عارفة انه اللي بيحصل ده صعب وخايفة عليكي فلو حابة احنا

ممكن نسافر أو لو حابة تشوفي دكتور

لأ أنا كويسة يا هدى

-بس انتي بتشوفي حاجات غريبة يا حبيبة

دي أحلام يا هدى نتيجة التوتر

-يا بنتي ما كلنا بنتعرض للضغط والتوتر وانا قلقانة عليكي

يووووووه ما خلاص بقى يا ملك

-ملك! أنا هدى يا حبيبة

هنا شرعت بالبكاء وضمتني أختي بشدة وجاء أبي وأخي الصغير لمواساتي فأدركت

حينها أن رزقي الحقيقي هو أهلي

*****

تائهة أنا يا صديقي بين أسطرك الأخيرة التي غلّفتها بأسفك السيء جدا مثلك

ونسيت تماما أنه لا جدوى من أشياء تأتي متأخرة كقبلة اعتذار على جبين ميت.

شعرت بك مرة أخرى وكأنك أقسمت أن تترك روحَك تطوف حول قلبي.

-ازيك يا حبيبة

لأ انت مش حقيقي أنا بحلم

-ده أنا يا حبيبة ورجعت عشانك

مستحيل انت في اليابان عشان شغلك

-هدى كلمتني وقالتلي اللي بيحصلك فنزلت مصر عشان أجيلك وأتكلم معاكي

وباباكي عارف وسمحلي عشان حالتك

أنا كويسة متقلقش واتفضل امشي

-طيب قوليلي بتشوفي ايه

ملكش دعوة

-قولي بالله عليكي يمكن أقدر أساعدك

قتلتها عشان كانت حامل صح؟

-هي مين دي يا بنتي؟

ملك .. هتكون مين؟ لحقت نسيتها! طيب احترم انه اللي كان في بطنها كان ابنك أو

بنتك

-ملك! ملك مين يا حبيبة؟

مكنتش أعرف انه الإنكار هيوصل بيك لكدة!

-صدقيني أنا معرفش بتتكلمي عن مين

في تلك اللحظة دخل أخي مسرعا يعلو وجهه الفزع وقال محاولا التقاط أنفاسه:

-الحقي يا حبيبة قبضوا على هدى وهي راجعة من الشغل وقالوا لبابا انهم لقوا شال أبيض عليه دم تحت سرير ملك ولما سألوا أهلها قالولهم انه شال هدى صحبتها وكانت ديما لبساه

*****

هنا كانت لحظة الانهيار، الماضي عاد ليُخفي طلاسم روحِك ، إنك سيئة جدا لأنكِ تركتيهم ليتلاعبوا بروحِك البريئة، أفقتي متأخرة لكن لم تكُن النهاية قد وُضعت بعد.

لا تنسى بعد إغلاق الصفحة أن تمزّقها فالعودة لقرائتها مرة أخرى سيجعلك تود أن تضيف بضعة أسطر جديدة وبمرور الوقت ستصير أسطر عديدة.

ذهبت إلى غرفة أختي لأتحدث معها عن كوابيسي وما أراه كل ليلة

- هدى كنت عاوزة اتكلم معاكِ شوية

  اتفضلي يا حبيبتي انتِ كويسة؟

- أيوة كويسة بس في موضوع كدة

  موضوع ايه مالك؟

- الكوابيس اللي بشوفها

  شوفتي ايه؟

- شوفت ملك لابسة شال ماما اللي انتِ بتلبسيه وجاية تهمني بقتلها

  يا حبيبتي دي مجرد أحلام وانتِ عشان زعلانة انه كان بقالكوا فترة مش بتتكلموا فده إحساس بالذنب من ناحيتها مش أكتر

- لأ يا هدى وكمان بحلم بطارق وحاجات غريبة

انتي لسة بتحبيه يا حبيبة فحزنك على فراقه ارتبط بحزنك على ملك

وبدأتي تحلمي بالاتنين

- يعني انتي شايفة انه عادي؟

ايوة عادي متقلقيش

- تمام أنا هقوم أصلي المغرب

بقولك ايه يا حبيبة ، أنا بقالي 3 أيام مش لاقية الشال بتاع ماما وانتي

شايفة انا مشغولة ورايا مذاكرة كتير فلو ينفع تبقي تدوريلي عليه عشان

مبعرفش اركز من غيره

- حاضر هبقى ادورلك عليه

قطع صوته تفكيري وسكوني وشرودي المؤسف جدا

- حبيبة .. يا حبيبة اتكلمي قولي اي حاجة

في ايه يا طارق!

- يا بنتي انتي ساكتة كدة ليه وسرحتي ف ايه؟

ياريتني كنت دورت على الشال

- شال ايه دلوقتي انتي مصدقة الكلام ده؟

دي غلطتي انا

- بطّلي تلومي نفسك على كل حاجة ويلا عشان نروح مع اخوكي

ذهبنا إلى مركز الشرطة ووجدت أختي خلف القبضان جالسة وممسكة برأسها بين يديها ولا تجد ما تقول وأبي ذهب إلى الخارج ليتحدث مع محامي عبر الهاتف فذهبت إلى ظابط الشرطة لأتحدث معه وقد كان قوي البنية وبدا أنهم صارم جدا لكن بالطبع لم يخيفني ذلك المظهر.

- حضرتك عندك إثبات على اتهامك ده؟

أختك يا فندم هتفضل هنا لحد ما يتم إثبات العكس

- عكس ايه؟ انتوا ازاي تاخدوا حد بدون وجه حق!

احنا لينا الأدلة والمحقق لسة هناك ولو توصّلوا لحاجة هتاخدوها معاكوا وانتوا ماشيين

- بعد ايه؟ ومين هيتحاسب على الأذى النفسي اللي اتعرضتله وشكلها قدام الناس؟؟

تغيرت لهجة الشرطي ونظر في عيناي مباشرة بغضب شديد

- والله احنا رحنا لاقينا شال كانت هي بتلبسه وعليه دم فمش مسئولين عن حالة حد النفسية خاصة لو كان قاتل متقولش قاتل!

تدخّل طارق الذي كان يقف متعجبا لما يسمعه ولأسلوبي الغريب وغضبي الشديد

- حاولي تهدي يا حبيبة ده مركز شرطة ومتقلقيش هناخدها واحنا ماشيين أهدى! انت السبب في ده كله أصلا

- أنا السبب ازاي يعني يا حبيبة؟ من ساعة ما دخلت حياتي وهي بايظة

نظر لنا الظابط بسخرية وقال:

- ياريت يا فندم مشاكلك العائلية تحليها ف البيت وتتكلمي مع جوزك بهدوء

متقولش جوزي!

دخل أبي ليُطمئن أختي أن المحامي في الطريق

بعد غضون نصف ساعة وصل المحامي وتناقش مع الظابط أنه لا يوجد إثبات أن الدم الموجود على الوشاح يخص ملك أو هدى وأن وجوده في مسرح الجريمة لا يعني بالضرورة أن القاتل هو هدى فربما استعارته ملك قبل وفاتها وكانت ترتديه وقت الجريمة ومؤكد أن القاتل لن يترك شيء مثل هذا خلفه.

كان على أختي أن تمضي ليلة خلف القضبان فعُدت وأخي إلى البيت وظل أبي نائما بالخارج حتى الصباح وفي اليوم التالي قرروا مقارنة الدم الموجود على الوشاح بدم جميع المشتبه بهم وبالطبع كنت أنا وطارق منهم.

- متخافيش يا حبيبة

خايفة على أختي يا بابا

- متقلقيش لما تخرج ان شاء الله هنسافر اي مكان عشان تحاولوا تنسوا كل

حاجة حصلت في الفترة الأخيرة

يا رب يا بابا

*****

لا تجعلي أحد يتكئ عليكِ بكل قوته أو يرى فيكِ الخلاص من تجربته المريرة.

عاد صوته إلى رأسي بكل هدوء

- آسف يا حبيبة

على ايه يا طارق؟

- على كل حاجة وصّلتك للحالة دي

حالة ايه بقى؟

- العصبية والقلق والكوابيس

في تلك اللحظة تذكرت ما رأيت ، حتى لو أخبرتهم فلن يصدقني أحد، لن

يصدقني ذلك الشرطي الأحمق أو المحقق الماكر .. بل إنه حتى أبي لن يصدقني.

كنت بالخارج مع طارق ودخلنا مسرعين حين سمعنا صوت أبي يتشاجر مع المحقق حول أمرٍ ما.

- الدم اللي على الشال مش دمها عاوزين ايه تاني؟

عاوزين نتأكد انه مش دم حد من الموجودين

- يعني كمان مش دم ملك!

يا فندم المعمل الجنائي أكدلنا انه قبل القتل كان في نوع من الشجار وانهم وجدوا دم على الجثة ميخصش ملك وانه الدم ده غالبا دم القاتل وبما ان الموجود على الشال مش دم ملك يبقى دم القاتل وكدة هنوصل لنهاية الخيط

- خيط ايه؟ انا بنتي لازم تخرج دلوقتي

لما المحامي يوصل ويخلّص الإجراءات هتخرج معاكوا

تنفّسنا الصعداء وتأكّدنا أن التهمة سقطت عن أختي لكن المحقق واصل الحديث:

- الغريب جدا انه القاتل مخبطهاش بشكل متواصل يعني الواضح من التحقيق انه خبطها أول مرة وبعدين تراجع وكأنه عرف حاجة منعته يواصل الجريمة بس لما حاولت تشتبك معاه وطعنته بآلة حادة في مكان ما من جسمه قتلها.

قاطعته بشكل مفاجئ:

- يمكن قالتله انها حامل فصعبت عليه حامل؟ وانتي عرفتي منين انها كانت حامل؟

نظر الجميع لي بتعجب حتى أختي الجالسة خلف القضبان وقفت ونظرت لي بقوة وكأنها تمنعني من مواصلة الحديث ثم أكمل المحقق:

- اللي أعرفه يا آنسة انه محدش يعرف موضوع الحمل ده غير أهلها وانا طبعا.

ملك كانت صحبتي المقربة وقالتلي

- وهي صحبتك المقربة قالتلك ده امتى وانتوا كان بقالكوا فترة طويلة متكلمتوش؟

لم أستطع أن أجيب المحقق فهو بالطبع لن يصدق أنها أخبرتني ذلك في حلم ما بعد وفاتها.

دخل المحامي وكان ينظر لأبي بعبوس شديد جدا وكأنه أتى ليبلغه خبر إعدام أختي وليس إخلاء سبيلها.

- خير يا متر!

لم يرد على أبي فاقترب طارق ونزع ورقة من يده وقرأ ما فيها:

- اتضح من التحقيقات المتواصلة ومن مطابقة الدم الموجود على الوشاح الذي عُثر عليه في مسرح الجريمة مع دم المشتبه بهم أن ذلك الدم يعود للمدعوة "حبيبة مصطفى السيد"

*****

لم يكن يجب أبدًا أثناء فترة العلاج أن تعاود الشُرب من نفس الكأس الذي سبّب لك المرض حتى وإن اختلف محتوى الكأس فالمرض واحد.

"فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ"

سألتني أختي بحُزن:

- بتعيطي ليه يا حبيبة؟

مفيش يا هدى

- مفيش ازاي يعني؟ انتي هتخبي عليا!

حبيته يا هدى وفضلت ادعي ربنا يرزقني بيه وكان جزائي انه اتهمني بالكذب

- علشان هو كذاب جدا

لأ يا هدى هو صادق وانا اللي تعبته وفكّرته باللي حصلّه قبل كدة

- هو مكانش نسي أصلا عشان تفكّريه، هو كان بيحاول ينسى بيكي وانتي فشلتي عشان بريئة وبتدوّري على الحب وبس انما هو كان عاوز يملى الفراغ مش أكتر

أجبتها والدموع تنسكب كالأنهار من عيني:

بس أنا مش قادرة استوعب أي حاجة يا هدى

- هتستوعبي يا حبيبة بمرور الوقت متقلقيش وهيحصل حاجات عمرك ما توقعتيها

اخترق صوت الظابط شرودي ليخبر أبي أنني سأتبادل المكان مع أختي

- بنت حضرتك هتشرفنا أربع أيام على ذمة التحقيق

طيب مينفعش تيجي معانا البيت وتبعتوا مخبرين مثلا؟

ردّ الظابط بسخرية:

- إن شاء الله المرة الجاية

بدا اليأس الشديد على وجه أبي فأثناء المحاولة لإنقاذ إحدى بناته غرقت الأخرى.

أراد طارق أن يمد يد العوْن فاقترح على أبي البقاء معي

أنا هفضل مع حبيبة يا عمي وحضرتك خليك مع ولادك

لأ يا طارق مفيش داعي

- **متقلقش يا عمي هيفصل بينا حديد**

مش عاوزين نتعبك معانا كتّر خيرك لحد كدة

- **مفيش تعب ولا حاجة يا عمي دي حبيبة**

إني أقف في الحب

لا واقِعه فيه

فالحبُّ يا سيّدي

مُحرَّمٌ في بلادي

والعشقُ شيءٌ سيء

والشرعُ يَنفيه

رحل أبي مع إخوتي وظل طارق معي وكأنه كان يلزمني شيء آخر ليجعل حياتي أسوأ.

جلس طارق على الأرض بجوار القضبان التي كنت أتجول خلفها فأردته أن يرحل بشدة.

- خلاص يا طارق تقدر تمشي الجو هنا حلو زي مانت شايف متشكر
- على فكرة انت مش مجبر عارف
- هتفضل نايم هنا لحد امتى؟!

لحد ما اخدك وامشي

- تاخدني وتمشي! ده أنا اعترف على نفسي أحسن

أنا بقول كدة بردو

- انت عاوز ايه يا طارق؟

عاوزك تنامي يا حبيبتي

- متقولش حبيبتي

عارفة يا حبيبة

- مش عاوزة أعرف

مشكلتك انك عاوزة كل حاجة تمشي زي مانتي عاوزة وده مش هيحصل

- أنا مشكلتي الوحيدة هي انت بأمانة

مش همشي يا حبيبة حتى لو ده اضطرّني افضل هنا واسيب حياتي كلها في

مقابل اني ابقى جمبك حتى لو في السجن

- سجن عن سجن مش هيفرق

تصبحي على خير

محاولة النوم خلف القبضان ومعي طارق في نفس المكان أصعب من سيري على قضبان حديدية يُعتقد مرور قطار عليها بعد دقيقة.

تغلّب النوم على طارق الذي اعتاد النوم مبكرا وحاولت النوم أيضا لكن محاولاتي باءت بالفشل وشعرت بخوف شديد حين رأيت خيال امرأة يمر أمامي ورياح تعبث بالباب.

هنا أدركت أن وجود طارق معي كان ضروريا وحاولت إيقاظه.

- طارق .. اصحى يا طارق انا خايفة

في ايه يا حبيبة؟

- انا حاسة اني شوفت خيال بنت او واحدة كبيرة مش عارفة وكمان صوت الهوا

ده صوت ضميرك

- ايه؟

قتلتيها ليه يا حبيبة؟

- انت بتقول ايه؟

تكرر السؤال مرة أخرى ولكن تلك المرة لم تكن من طارق، كان من أمي التي رحلت منذ زمن بعيد وافتقد دفئ وجودها حقاً.

- قتلتيها ليه يا حبيبة؟

مقتلتهاش يا ماما حتى انتي مش مصدقاني؟

- مقدرتيش تحافظي على الأمانة

غصب عني يا ماما صدقيني

- قولتلك من زمان اتكلمي متكتميش حاجة جواكي عشان متوصليش لكدة

لأ أنا بحلم .. انا مش شايفاكي

- انتي بتحاولي تهربي

لأ مش بهرب انتي على طول بتجيلي في الحلم ولابسة نفس الشال الأبيض

ودلوقتي انتي مش لابساه

سمعت صوت سقوط زجاج على الأرض وتحطّمه بشدة

- فاكرة الصوت ده؟

صوت ايه يا ملك؟ انا مش فاهمة حاجة .. انا مقتلتكيش

- صوت الفازة اللي خبطتيني بيها ولما حاولتي تلمي اللي انكسر جرحتي نفسك

يعني حتى مش انا اللي عملت فيكي كدة رغم انك كنتي بتقتليني

- محصلش انتي بتخدعيني انا معملتش كدة

كان كل شيء معتما ورؤيتي غير واضحة لكن حين استعدت القدرة على الرؤية

كنت على سرير في مشفى مُحاطة بأبي وطارق وطبيب وظابط شرطة.

اليأس الذي كان يعلو وجههم كنت أعلم أني خلفه وحاولت معرفة ما حدث رغم

أني كنت أعلمه جيداً

- ايه اللي حصل؟

أجاب طارق مسرعاً:

انتي كنتي بتصرخي يا حبيبة وحاولت اهدّيكي معرفتش لحد ما اغمى عليكي وجبناكي هنا

- مفيش جديد يا بابا؟

أهل ملك قالوا للنيابة انك مستحيل تعملي كدة وانهم عارفينك كويس بس طبعا النيابة بتتعامل مع الأدلة

- يعني أهل ملك مش مصدقين اني اعمل كدة وماما مصدقة مش فاهم يا حبيبة تقصدي ايه وعلاقته ايه بماما

- تأثير الصدمة يا بابا مفيش حاجة

خرج أبي ليناقش إجراءات مكوثي في المشفى لحين شفائي من الصدمة.

سألني طارق السؤال المعتاد من أختي:

- شوفتي ايه يا حبيبة؟

كانت حامل منك يا طارق وانت قتلتها

- انا معرفهاش اصلا انتي فيكي ايه يا بنتي!

انا مش بنتك .. انا بابا واقف برا اهو قدامك

- بطلي عصبية وقوليلي شوفتي ايه؟

مش هتصدقني

- هصدقك أوعدك بكدة

شوفتك انت وماما وملك بتتهموني بقتلها بس ماما مكانتش لابسة الشال

زي كل مرة فانا شكيت انه حلم طبيعي وعرفت انه كابوس كالعادة بس

مكنتش عارفة اصحى

- طيب مامتك وملك اتوفوا لكن انا تحلمي بيا ليه؟

دخل أبي ونظر في وجهي مباشرة بخوف شديد ثم اقترب وسألني:

- **بتكلمي مين يا حبيبة؟**

طارق يا بابا

- **طارق مين يا حبيبتي؟**

لأ يا بابا أرجوك ده قاعد قدامك .. اتكلم يا طارق حرام عليك

- **طارق الطيارة انفجرت بيه وهو راجع من اليابان يا حبيبة .. طارق مرجعش**

أصلا!!

*****

يتعلق الأمر بالقدر ، وبأشياء لا تُغتفر.

سأصِف رحيلك

في بضعة سطور

وأشكو إليكَ

انكسار الشعور

وأرفع أنيني

لحد السماء

فلا تكفيك

قصيدة رثاء

كنت تبدو يا صديقي كالدواء الذي أدمنه مريض ما واكتشف فجأة أنه لم يعد موجود وتوقف انتاجه لخطورة أعراضه الجانبية.

دخلت أختي وهي ترتدي وشاح أسود مختلف تماما عن وشاح أمي وكانت شاحبة للغاية.

- **مالك يا هدى؟**

اسفة يا حبيبة

- **على إيه!**

إني خبيت عنك حاجات كتير

- **مش هتفرق صدقيني**

لأ كانت هتفرق لو عرفتيها وقتها

- بصي يا هدى كان المفروض سمعت كلامك من الأول وجرّبت العلاج النفسي

لكن انا رفضت

وانا كان المفروض اساعدك وأقف جمبك

- خلاص متندميش على حاجة وانا هجرّب الدكتورة اللي بابا قال عليها

لو الدكتورة قدرت تثبت اللي عندك هتاخدي براءة

- هاخد براءة بحكم اني قتلت بدون وعي صح!

انا مقصدش كدة بس ده هيساعدك انك تخرجي من دايرة الاتهام

- صدقيني يا هدى انا مبقاش عندي حاجة اخسرها

بس احنا عندنا انتي يا حبيبة ومعندناش استعداد نخسرك

- الدكتورة دي هتيجي امتى؟

كمان ساعة كدة

كنت أتناول الغداء مع أختي وأثناء انشغالنا بالحديث عن الماضي دخلت امرأة تبدو في الخمسين من عمرها وكانت ترتدي وشاح أبيض لسبب ما لا أعرفه وقد غطى الشيب شعرها وبدا لي أنها تشبه المحقق بشدة وكأنها من العائلة.

اقتربت ثم نظرت إلى أختي وسألتها:

- آنسة حبيبة!

لأ أنا هدى .. دي أختي حبيبة

- غريبة جدا انتي باين عليكي التعب والإرهاق أكتر من حبيبة

معلش الفترة الأخيرة كانت صعبة شوية

- طيب مش هتكون صعبة عليكي أكتر من حبيبة نفسها ولا إيه؟

لم ترد أختي وكنت أجلس في صمت لكن السؤال الأخير جعلني انفعل بشدة.

- أعتقد يا آنسة هدى انك كنتي مشتبه بيها في القضية يعني ممكن في اي

وقت ترجعي لدايرة الاتهام ولا ايه رأيك؟

وانتي مالك!

- بتقولي ايه يا انسة حبيبة؟!

وانتي مالك .. انتي جاية تشوفي شغلك وبس .. كلامك معايا أنا مش مع أختي

وأي محاولة منك انك تستفزيها تقولك حاجة مش هتفيدك

- واضح انك عصبية جدا يا انسة حبيبة

هو انتي وكيلة نيابة ولا دكتورة؟!

- دكتورة وواضح من المناقشة الحالية انك عصبية ومن السهل استفزازك

بدليل اني نجحت في ده بكل سهولة وأول حاجة لازم نعالجها هي العصبية

إذن لقد وقعت في الفخ

نظرت إلى أختي مرة أخرى وقالت:

- هستأذنك يا آنسة هدى تسيبيني أقعد مع حبيبة شوية لوحدنا

حاضر يا دكتورة

خرجت أختي وقبل أن تترك باب الغرفة نظرت إليّ نظرة أم تشفق على طفلها الذي أصابه مرض مُعدي يمنع تواجد أي أحد معه في الغرفة سوى المرض فقط.

بدأت الطبيبة في الحديث:

- ازيك يا حبيبة

تمام الحمد لله رايحة بكرة المالديف تحبي تيجي معايا

- ايه اللي ضايقك في السؤال ده دلوقتي؟

انك بتسأليني عن حالي في مستشفى السجن مثلا!!

- من امتى وانتي عصبية؟

من يوم ما بدأت اقابل ناس تعصبني

- محتاجة منك تجاوبيني بطريقة كويسة لمصلحتك ومصلحة أختك

من بداية الثانوية تقريبا

- في سبب معين للعصبية دي؟

وفاة ماما

- مامتك اتوفت ازاي؟

مش حابة اتكلم في الموضوع

- معلش انتي مضطرة تجاوبيني عشان اقدر اساعدك

في حادثة .. السواق كان مستعجل عشان عنده مشوار والعربية اتقلبت بيهم

- مامتك كان عندها مشوار بردو؟

ايه علاقة ده بالموضوع!

- مامتك كانت مستعجلة هي كمان؟ كانت موافقة على زيادة السرعة؟

معرفش بس ده مش مبرر للسواق

- ولا مبرر ليكي انك تشوفي واحد كان بيأدي مهنته وبيعمل المطلوب منه انه السبب في وفاة والدتك بمعنى انه ده معاد وفاتها

هو حضرتك تبقي بنت خالته ولا حاجة! عشان ابقى فاهمة بس

- ليه بتتكلمي بالأسلوب ده وهل بتتكلمي كدة مع كل الناس؟

لأ الناس اللي بيضايقوني

- زيي كدة؟ وزي طارق؟

طارق ملوش علاقة بالحوار

- لأ ليه طبعا ده هو أهم شخص في الحوار .. بصي يا حبيبة أنا هعملك نوع من التنويم المغناطيسي دلوقتي وتأكدي انه محدش هيدخل الاوضة دي نهائي لأني محتاجة اتكلم مع حبيبة اللي جواكي مش مع حبيبة اللي قاعدة معايا دلوقتي.

ولو انا مش موافقة!

- عادي همشي وهيبعتولك دكتورة أكبر مني في السن وشغلها كله مع المجرمين

شوفي هتعملي ايه ايا كان

كنت اقرأ عن العلاجات النفسية وعن التنويم والدائرة التي تحتوي على دوائر بيضاء وسوداء تدور بالقرب من أعين المريض حتى يفقد الوعي بطريقة ما لكن تلك الساحرة أحضرت لي كوب ماء وفتحت شاشة هاتفها لتريني بعض الصور عن طفولتها وأخذت تتحدث حتى غبت عن الوعي.

حاولت أختي إفاقتي.

- حبيبة .. يا حبيبة فوقي

ايه يا هدى اللي حصل؟

- الدكتورة استدعتني وطلبت استراحة وقالتلي افضل معاكِ لحد ما تفوقي.

متعرفيش قولتلها ايه يا هدى؟ مقالتش اني قولت اي حاجة غريبة وانا مش في وعيي مثلا؟

- لأ مقالتش حاجة بس خرجت من الاوضة قلقانة ووشها كله عرق وقالت هترجع تتكلم معانا وبابا برا بيجبلك أكل.

أكل ايه يا بنتي احنا لسة متغديين

- الساعة 10 بالليل يا حبيبة!

ايه؟ هي معايا من العصر لحد دلوقتي!

- عصر ايه يا حبيبة لا إله إلا الله .. دي جاية الساعة 7 مش العصر ولا حاجة

معلش يا هدى أختك لسة قايمة من تنويم يا بنتي اعذريني

- عذراكي ياختي

عادت الطبيبة وتبعها أبي فنظرت إلى أختي ثم إليه وقالت في غضب:

- كان المفروض يا أستاذ مصطفى تعرفني إن حبيبة حامل

فسألتها أختي في تعجب:

إيه!

- زي ما سمعتي يا انسة هدى .. الدوا اللي أختك أخدته فيه خطر على الجنين

وأكيد لو عندي علم مكنتش هستخدمه

نظر أبي إليها بغضب وقال:

- بس احنا أصلا منعرفش بتتكلمي عن إيه؟

ازاي يعني يا أستاذ مصطفى حضرتك متعرفش انه بنتك حامل

نظر لي أبي بخيبة أمل شديدة وسألني:

- الكلام ده بجد يا حبيبة؟!

معرفش يا بابا والله وأكيد كنت هعرّفكوا وبعدين هبقى حامل من مين

طيب وانا جوزي ميت!!

فزعت الطبيبة بشدة وكأنها رأت شبح

- انتي كمان كنتي متجوزة؟

أجابها أبي في حزن:

أيوة بنتي كانت متجوزة بس ده لمدة سنة وبعدين حصل مشاكل واختلفوا

فهو سافر وسابها لحد ما تهدى وانا أكيد كنت هقول لحضرتك لو اعرف

انه ده هيفيدك

ردت الطبيبة في انفعال:

- هيفيدني؟ .. بنتك حامل في الشهر التاني من جوزها الميت يا فندم!

لحظة بس!! انتي بتتكلمي كدة بناء على ايه؟

- بناء على كلامها وهي مش في وعيها يا أستاذ مصطفى

وقالت ايه بقى عشان افهم!

- قالت انها ملحقتش تقول لطارق الخبر السعيد ده قبل ما يموت

ما يمكن هلوسة

- محدش بيتخيل حاجات أثناء التنويم ، انا بكلم عقلها الباطن يعني مخزن

أسرارها كله

طيب هنفترض انها قالت كدة واننا هنجيب دكتور عشان نتأكد .. السؤال المهم بقى .. دي الحاجة الوحيدة اللي حضرتك طلعتي بيها في ال 3 ساعات دول!

كانت الطبيبة تنظر لأبي وكأنها تحاول تذكر شيء ما حتى دخل ظابط شرطة بشكل مفاجئ للتنبيه بأن الزيارة انتهت وأنه على الطبيبة أن تعود اليوم التالي فنظرت لي للمرة الأخيرة وقالت:

- قتلتيه ليه يا حبيبة؟

هو مين!

- مش عارفة

رحلت الطبيبة النفسية وكان يبدو عليها الإرهاق الشديد حتى أنها لم تعد تعي ما تقول.

في صباح اليوم التالي أتت الممرضة الخاصة بي وقد كانت سيدة جميلة جدا وطيبة كأمي لكن الحزن الشديد كان يعلو وجهها هذه المرة.

بادرت بالحديث لأحاول معرفة سبب حزنها فقد كانت دائما تشكو لي قسوة زوجها.

- مالك يا خالتي في حاجة حصلت؟

مش عارفة اقولك ايه والله يا حبيبة

- لأ قولي خير مش هيبقى أسوأ من وضعي

بصراحة الدكتورة امبارح وهي راجعة البيت عملت حادثة وفي العناية

وقالوا ان ده كانت نتيجة زيادة السرعة وان السواق فقد السيطرة على

التاكسي .. معرفش كان مستعجل على ايه!

- عادي يا خالتي مش يمكن هي اللي كانت مستعجلة وموافقة على زيادة

السرعة؟!

أنا لم أكن لأضيع من عمري في انتظارك دهرًا

فانتظارك يحتاج فوق العُمر عُمرًا

*****

أشعر وكأن قلمي ينظر لي بشفقة شديدة جدا.

مالت أختي باتجاهي وكأنها تحاول أن تواسيني ووضعت يدها على كتِفي ثم بدأت بالحديث.

- مش غريبة يا بيبة إن الدكتورة أول ما خرجت من هنا عملت حادثة؟!

حظي يا هدى شكلي مطوّلة هنا

- هو انتي مش فاكرة قولتلها ايه بالظبط او هي قالتلك ايه؟

لأ بصراحة مش فاكرة ومش عاوزة افتكر

نظرت لي هدى بيأس وذهبت لتحضر الطعام وغلبني النوم بسبب العقاقير التي أعطوها لي.

- حبيبة

نعم يا هدى

- هتخرجي انهاردة من المستشفى

بجد! ازاي؟

- قرروا انك مش مريضة مرض نفسي ومش هتروحي السجن بردو

اومال هروح فين؟

- هتيجي معانا البيت بس .....

بس ايه يا هدى؟

- هيبقى معاكي أمين شرطة وهتبقي مقيّدة

طيب وعلى ايه خلوني هنا أفضل

رد أبي بيأس:

- مش هينفع يا حبيبة

ليه يا بابا؟

- هم شايفين انه في خطر على المساجين من وجودك هنا

ياااااه!! للدرجادي!

- وهنجبلك شيخ ..

أكيد بتهزروا!!

لم يكن أبي يمزح فبالفعل عدت للمنزل بعد وقت طويل لكن بصحبتي أمين شرطة وقيود وُضعت في يدي لكنها في الحقيقة كانت تبدو كأنها قيودًا لروحي.

جاء أبي لغرفتي ليذكّرني بمجئ أحد المشايخ لأن الجميع كان يظن أنه أصابني مس وأنّ هذا يمكن أن يسبب الأذى لي ولمن حولي.

- الشيخ جاي انهاردة يا حبيبة ، جارتنا قالت راجل عنده خبرة وبيفهم وان شاء الله يقدر يساعدك

طيب استنوا لبكرة يا بابا

- معلش يا حبيبتي لمصلحتك ان كل حاجة تتم بسرعة

في المساء حضر شخص ذو لحية طويلة وفي يده سبحة ومعه طفل صغير يحمل زجاجة مياه وأحضروني وجلست أمامه وأخذ ينظر لي بدقة في عيني مباشرة وشرع بالحديث .

- كيف الحال يا آنستي الصغيرة؟

الحمد لله

- انتي خايفة ليه؟

مش خايفة عادي

- عاوزك تبصي حواليكي وتعرّفيني بالناس اللي واقفين

ده بابا ودي أختي هدى ودي ملك صحبتي وده محمد أخويا

- فين ملك؟

واقفة جنب هدى

- ملك لابسة ايه؟

شال أبيض أخدته هدية من هدى أختي هو بتاع ماما أصلا

- طيب وماما مش واقفة معاهم؟

لأ ماما دخلت تعمل الغدا

- متأكدة؟

ايوة طبعا مش سامع صوت الحلل .. مش شامم ريحة الأكل

- طيب في مين تاني كان نفسك يكون موجود؟

طارق

- مين طارق؟

طليقي بس كان نفسي يكون موجود

- اومال هو فين!

مسافر عشان الشغل بس هييجي قريب

- آخر مرة قرأتي قرآن امتى يا حبيبة؟

من حوالي أسبوع

- قرأتي ايه؟

قرأت يس ويوسُف

- طيب ممكن تطلبي من والدتك تجبلي كباية ماية

روحي يا هدى هاتي ماية لعمو

- لأ انا عاوز والدتك اللي تجبهم

هو من امتى الأموات بيجيبوا ماية يا شيخنا .. صحصح معايا كدة انت

تعبان ولا ايه؟

- يا بنتي مش انتي قولتي انها بتعمل أكل في المطبخ! انا عاوزها تجبلي ماية وهي جاية

هي مين؟

- والدتك يا حبيبة

انت من الصبح عمال تقولي يا حبيبة وانا سكتالك .. حبيبة مين؟ وانت بتعمل ايه هنا أصلا وعاوز ماما ف ايه؟

- طيب انتي مين؟

وانت مالك طيب

- قولي عشان اقدر اساعدك

بص انت من ساعة ما جيت وانا مش مرتاحة وحبيبة كمان اتضايقت منك

- طيب ممكن اكلم حبيبة؟

نعم يا عمو

- آخر حاجة سألتهالك ايه يا حبيبة

اعرّفك بالناس اللي واقفين

- طيب ممكن تعرّفيني بيهم تاني عشان توهت شوية؟

بابا وأختي واخويا

- في حد تاني؟

لأ هم دول بس

- ملك صحبتك فكراها؟

ايوة طبعا عمري ما انساها

- ضايقتك ازاي قبل كدة؟

عمرها ما ضايقتني وكنت بحبها اوي

- وكنتي بتحبي طارق بردو بس الأعمار بيد الله ولازم تتقبلي قضاء ربنا

هو طارق مات؟

- ايوة يا حبيبة وباباكي قالك كدة

بس بابا مات

- لأ يا حبيبتي انتي لسة قيلالي انه واقف

أكيد كان بيتهيألك

- ممكن تقوليلي اسمك

اسمي ملك

- طيب يا ملك باباكي ومامتك عايشين صح؟

ايوة وانا مت

- ازاي؟

حد خبطني بحاجة على راسي وحاولت ابعده عني بس معرفتش

- كنتي لابسة ايه؟

شال ابيض

- تفتكري حبيبة اللي عملت كدة؟

لأ

- طيب ليه طول الوقت كنت بتتهمها بكدة؟

هي كانت بتتهم نفسها وبتحلم بيا لكن انا عارفة انها متعملش كدة

- اومال مين اللي عمل كدة؟

ده

- ده مين

عمو مصطفى

- طيب وعمو مصطفى هيقتلك ليه؟

عمو مصطفى مين؟

- عاملة ايه يا حبيبة؟

حبيبة مين انت نستني مش قولتلك مسميش حبيبة

- طيب انتي بتعملي ايه هنا؟

ده بيتي قول لنفسك

- ممكن تكلميني عن نفسك

حبيبة بس اللي تعرفني وقالتلي افضل هنا

- لوحدك ولا معاكي حد؟

معايا بابا وماما واخواتي

- طيب مش شايفة انه المفروض تسيبي حبيبة شوية تعيش كرد للمعروف

اللي عملتهولك

بس هي موافقة اعيش معاها

- تعيشي معاها لكن مش جواها

والله مش هنختلف

- طيب ممكن أكلم ملك؟

ملك بتعيط

- ليه؟

عشان انت قولتلها انه طارق مات .. معرفش بيحبوه على ايه؟

- ما هي كانت فاكرة انه باباها اللي مات

لأ باباها عادي هي عاوزة تقتله أصلا عشان بعدها عن طارق

- طيب ممكن تسألها ليه قالت ان أبو حبيبة اللي قتلها؟

ما تسأله انت قتلها ليه؟! ده انت غريب اوي

- ممكن طلب

نعم

- أكلم حبيبة ومش تتدخلي

نعم يا عمو الشيخ

- انتي قولتي للدكتورة ايه يا بنتي؟

قولتلها تلحق تسافر عشان ابنها عمل حادثة

- ابنها مين؟

طارق .. دي مامة طارق وجت تشوفني لأنها دكتورة

- وعرفت منين انك حامل؟

لأ دي بسمة اللي حامل وهي اللي اتكلمت مش انا

- يعني البنت دي اسمها بسمة؟

ايوة

- طيب ملك بتقول انه باباكي اللي قتلها .. ايه رأيك في الكلام ده؟

مش حقيقي هي كانت بتتهمني بردو

- لأ هي قالت انه انتي اللي كنتي بتتهمي نفسك

هيقتلها ليه طيب هي عملتله حاجة؟

- طيب تفتكري مين اللي قتلها؟

معرفش .. لو اعرف مكانش زماني قاعدة بالكلبشات في ايدي وأمين شرطة واقف برا

- من امتى وبسمة معاكي

من أسبوع؟

- من ساعة ما بطلتي تقرئي قرآن؟

لأ انا مش بقرأ قرآن بقالي شهر دي بسمة اللي بتقرأ على طول نفسي ابقى زيها

- طيب هتاخدي حاجات تعمليها باستمرار يا حبيبة

حاجات ايه؟ انا بزهق بسرعة هبقى اعرّف بسمة

- طيب وملك بتعمل ايه عندك؟

لأ هي مش عندي.. حضرتك اللي قولت انها كلمتك شكلك تعبان ياريت تبقى تكشف هقولك اسم دكتور حلو اوي

- ماشي يا حبيبة هبقى اجي تاني

ان شاء الله

كانت أختي ملقاه على الأرض فاقدة الوعي وأخي يحاول افاقتها وخرج أبي مع الشيخ وعاد مسرعًا ومعه أمين الشرطة.

اقترب أبي وسألني في خوف:

- مالك يا حبيبة؟ ايه اللي حصلك؟

انا كويسة يا بابا متقلقش ومفيش ملك ولا بسمة

- اومال ليه عملتي كدة؟

ده مش شيخ يا بابا ده طارق وجاي يتأكد اني عرفت خبر وفاته واني مجنونة ومحدش هيصدقني

- طيب ليه هيعمل كدة وانتي عرفتي ازاي؟

من مامته هي اللي قالتلي انه طارق قتل ملك عشان كانت حامل منه ولما عرف موضوع الأحلام بدأ يظهرلي على انه حلم ولما شك اني بدأت أصدق

انه موجود فبرك موضوع الطيارة وهو أصلا مطلعش على الطيارة دي .. هو أصلا هنا مسافرش

- وفي أم هتعترف على ابنها؟

ايوة يا بابا زي ما في بنت هتعترف على باباها

- مش فاهم

هو ده اللي قتل ماما يا سيادة الأمين

- انتي بتقولي ايه يا حبيبة؟

اسفة يا أستاذ مصطفى

لم يكن يجب أن تصدق كل ما يُقال لك .. انهم يظنون أنك جاهلًا لكنك فقط تتجاهل الحقائق.

*****

سمعت أصوات في غرفة أختي فاقتربت وحاولت معرفة مع من كانت تتحدث فوجدت طارق يقف أمامها.

- آسف يا هدى لازم امشي

مش هينفع يا طارق ، انت عارف إن الوضع ميسمحش أبداً إنك تمشي الفترة دي بالذات

- بصي يا هدى وجودي هنا هيسببلي مشاكل كتير جدا وانتي عارفة ده كويس بس حبيبة هتبقى لوحدها وكمان بابا مبقاش موجود

- مبقاش موجود بسببها وبعدين انتي مش عاوزاني افضل عشانها ، انتي عاوزاني افضل عشانك انتي

يا طارق انت .....

- متكمليش يا هدى .. انا مش هستنى لحد ما حالي يبقى زي حال عمي مصطفى، انتي عارفة إن أختك مش مدركة تصرفاتها وممكن تصحى الصبح تتهمني بأي حاجة ومش بعيد تتهمك معايا لو حسّت إن بينّا حاجة

ماشي يا طارق اللي تشوفه

- **خلي بالك من نفسك**

ماشي .. وانت كمان

هترمّمي روحك بسجود

ده الراحل يرحمه الله

عمره ما هيعود

هيجيلك الأحسن وانا عارفة

حيلك مهدود

لكن لو كل الناس غابوا

ربنا موجود

ذهبت إلى غرفة أختي دون أن أطرق الباب.

- **هدى!**

نعم يا حبيبة خضتيني .. ابقي قولي أي حاجة قبل ما تدخلي عليا فجأة كدة

- **اسفة .. كنت عاوزة اقولك مفيش داعي تقفلي باب الاوضة بالمفتاح بالليل**

انتي عرفتي ازاي؟

- **كنت عاوزة حاجة من الاوضة وللأسف لاقيتك قافلة**

كنتي عاوزة ايه وانا اجيهولك طيب؟

- **لأ خلاص مش لازم ويا ريت متخافيش**

بصي يا حبيبة انا خوفي مبرر وانتي عارفة احنا بقينا من غير راجل

والأحداث الأخيرة تخوّف أي حد

- **بس انتي كدة خايفة منّي أنا يا هدى!**

مهو بصراحة يا حبيبة انتي لازم تراجعي نفسك وتصرفاتك وتشوفي لو ده سببه حاجة معينة وتعالجيها

- خلاص يا هدى رسالتك وصلت وعامة عمري ما كنت هفكر اسببلك أذى في يوم، لأن انتي بالذات الوحيدة اللي عمرها ما أذتني.

إن الأشياء تبدو عرجاء حين يكون الحديث عن الحب.

لم أكن أود أبداً التصنّت على أختي لكني اضطررت لذلك حين شككت بعلاقتها بطارق وسمعتها تتحدث على الهاتف وبدا لي أنها كانت تحادثه فذهبت إلى غرفتي ورفعت سماعة الهاتف لأن ملك لم تستخدم هاتفها خشية أن يكتشف أحدهم مع من كانت تتحدث مما زاد الريبة بداخلي.

- ألو، أيوة يا طارق

خير يا هدى في حاجة؟

- هو انا لازم اما اتصل يكون في حاجة؟

الصراحة ايوة .. ايه اللي حصل؟

- حبيبة امبارح قالتلي إن عمرها ما تفكر تإذيني لأني عمري ما أذيتها

ايوة وفين المشكلة؟

- المشكلة اني مختلفتش عن اي حد من اللي حواليها بالعكس أنا أكتر واحدة

سببتلها الأذى

بصي يا هدى، محدش يقدر يتحكم في مشاعره وانا وانتي لما حبينا بعض

كان بدون قصد وفي فترة كانت حبيبة مش موجودة في حياتي وبالتالي انتي

مظلمتيهاش ولا حاجة

- بس كان المفروض .....

ألو .. ايوة يا هدى رحتي فين مش سامعك كويس!

اقتربت هدى ووضعت يدها على كتِفي:

- حبيبة! فوقي يا حبيبة انتي بتحلمي ..

بس انا منتمش أصلا انا صاحية

- يا حبيبتي انا سمعتك بتصرخي وجريت عليكي اشوف مالك لاقيتك بتحلمي

وهو لو انا بحلم كنت هعرف منين انك بتكلمي طارق!

- طارق مين وهكلمه ليه أصلا؟

اسألي نفسك!

هنا دخل أخي وهو يرتجف فضممناه سويا وحاولنا تهدئته ولكنه التفت لي ونظر لي مباشرة في محاولة قول شيءٍ ما ثم تمالك نفسه وقال:

- ليه قولتي إن بابا اللي قتل ماما يا حبيبة وانتي عارفة إن ده محصلش؟

عشان حصل

- قتلها ازاي وهي موجودة!

هي مين دي اللي موجودة؟

- ماما يا حبيبة

وقفت أختي وقالت فجأة:

لأ مش معقول ، كدة بقى اخواتي الاتنين اتجننوا وهمشي من هنا

- استني يا هدى ، انت بتقول ايه يا محمود؟

أنا لسة شايفها حالا وسألتني عليكي

إن أمي مهما تقدّم بها العُمر مازالت تشبه أميرة جميلة في العشرينات من عمرها.

نظرت إليها في حب وقلت:

- وحشتيني يا ماما

أجابتني أمي في غضب:

وحشتك! ولما قررتي تبعدي كل الناس عنك مفكرتيش في حالتي؟

- انا مبعدتش حد عني .. هم اللي اختاروا يبعدوا

بصي انا مش هقولك انك قتلتي ملك ولا هسألك ليه كنتي سبب إن

مصطفى يروح السجن، بس اخواتك دول ذنبهم في رقبتك انتي

- بس يا ماما انا مليش ذنب وانتي عارفة إن كل ده حصل غصب عني

متنكريش اني حذرتك متشاركيش اي حاجة تخصّك مع أي حد لكن انتي

مسمعتيش كلامي.

- كنت فاكراهم هيفرحوا مش هيحاولوا ياخدوه منّي

يلا اهي واحدة ماتت وواحدة مكتئبة وهو مشي وساب كل ده

- ونسيتي واحدة ..

مين تاني! هو سندباد زمانه كان على علاقة بكام واحدة؟

- هدى .. هدى هي التالتة

هدى مين يا حبيبة؟

- هتكون مين يا ماما؟ هدى اختي .. هو احنا نعرف هدى غيرها!

بس هدى ماتت وهي في الابتدائي يا حبيبة!

- هدى مين اللي ماتت يا ماما!! ما هي ورايا اهو

نظرت للخلف ولم أجد سوى أخي يضم ركبتيه إليه من الرعب وكأن أحدهم حاول اقتلاع روحِه من صدرهِ للتو.

- أنا بحلم صح! قولولي إني بحلم .. نادي على هدى يا محمود تصحيني زي كل مرة.

معلش يا بنتي .. الله يسامحك يا مصطفى، قولتله لازم ناخدها لدكتور وهو مصدقنيش

- استني بس يا ماما

اخترق صوت أحدهم راسي قائلاً:

ماما مين يا حبيبة!

- يا جماعة حراااام عليكوا .. طول الوقت تسألوني ملك مين؟ وطارق مين؟ وهدى مين؟ وماما مين؟ .. انتوا ليه عاوزين تجننوني!!

سقوطي على الأرض كان مبررا جدا، استيقظت ووجدت نفسي في مشفى وتغطيني شراشف بيضاء ويوجد محلول مُعلق بجواري يتدلى منه سائلٍ ما وممرضة تقف وتنظر في عيني مباشرة.

- انتي كويسة؟

انا بعمل ايه هنا؟

- مفيش يا قمر انتي تعبتي شوية وأهلك جابوكي هنا

أهلي مين؟ وبقالي أد ايه؟

- اخوكي ومعاه حد بيقول انه قريبكوا وانتي بقالك هنا يومين

طيب واختي مجتش معاهم؟

- بصراحة مشوفتش معاهم بنات خالص

طيب اقدر اخرج امتى؟

- الحقيقة صعب تخرجي دلوقتي لأن الدكتور قرر انك لازم تتعرضي على

دكتور مخ وأعصاب

بعد محاولات شتى من أخي والممرضة لإقناعي أنه يجب زيارة طبيب المخ والأعصاب

وافقت.

رافقتني أختي إلى الطبيب وجلست بالخارج.

- انا هسيبك دلوقتي يا حبيبة والدكتور هيدخل كمان شوية وياريت تلتزمي

باللي هيطلبه منك

ماشي

دخل رجُل في الثلاثينات من عمره وأول ما جذبني كان لون عيناه اللتان تميلان للخضرة كزرعٍ أصابته جرعة كافية من الندى للتو.

- ازيك يا آنسة حبيبة

الحمد لله

- بصي انا مش عاوزك تقلقي دي مجرد فحوصات مش أكتر

مش قلقانة

- تمام .. أنا هسألك كام سؤال وهكشف عليكي بسرعة كدة وهطلب منك شوية حاجات

ماشي

- تفتكري ليه انتي هنا انهاردة؟

هو حضرتك دكتور نفسي؟

- لأ يا ست البنات بس ده ضروري عشان الكشف

انا هنا انهاردة عشان أهلي يطمنوا اني كويسة وعشان الدكتور في

المستشفى طلب اني اجي لحضرتك

- لأ بلاش حضرتك دي خلي البساط أحمدي

تمام

- لما بتحصل حاجة تضايقك بيكون ايه رد فعلك؟

عادي بنفعل زي أي إنسان طبيعي

- ماشي بس الانفعال بيكون حسب الموقف، يعني في حاجات تستدعي

الانفعال الشديد وحاجات لا تستدعي الانفعال أصلا

ممكن ..

- مخطوبة او متجوزة يا حبيبة؟

ايه علاقة ده بالكشف حضرتك!

- مجرد سؤال ربما يكون الطرف التاني هو السبب في حالتك

حالتي اللي هي ايه بقى؟

- بصي يا حبيبة حسب وصف الدكتور انتي لما بتنفعلي او تحصل حاجة غريبة قدامك بتبدأ ضربات قلبك تزيد ويحصل عندك اندفاع في الإدرينالين وبتفقدي الوعي وممكن تفضلي في الحالة دي فترة وطبعا دي حاجة ليها أسباب نفسية وجسدية ولذلك لازم تتابعي مع طبيب نفسي وده مش عيب على فكرة ده ضروري لأي حد بيمر بحالة حزن شديدة.

يعني انا محتاجة المساعدة.

- جزء كبير من العلاج بيعتمد عليكي انتي

وإيه الفحوصات المطلوبة؟

- هتعملي بس رسم قلب ورسم مخ عشان عاوز اتأكد من حاجة

خرجت من عند الطبيب وكنت أشعر باختناق شديد بينما الأحمق كان ينظر لي بإعجاب وتعلو وجهه ابتسامة تشبه تلك التي تعلو وجه أبي حين يحرز الزمالك هدفًا وهذا بالطبع لا يحدث إلا نادرًا.

وجدت إخوتي في انتظاري وسألتني هدى في لهفة:

- ها يا حبيبة الدكتور قالك ايه؟

والله يا هدى قال حاجات غريبة وعاوزني اعمل رسم قلب ورسم مخ واروح لدكتور نفسي

- طيب يلا بينا

يلا بينا فين يا حجة مفيش الكلام ده انا هروّح اعمل نسكافيه وانام

- متهزريش بقى يا حبيبة انتي لازم تنفذي المطلوب منك

بصي يا هدى المريض بس هو اللي بينفذ تعليمات الطبيب وانا مش مريضة

- يعني مصرّة على موقفك

ايوة مصرّة وكفاية اني وافقت اجي هنا بس بصراحة دكتور زي القمر

- ده وقت هزار يا حبيبة!

مش بهزر والله ادخلي بس كدة شوفي وحتى مش لابس دبلة

- طيب ما تسمعي كلامه عشان تيجي تاني وتشوفيه يا ناصحة

لأ مهو انا عشان ناصحة مش هاجي تاني كفاية ابو عيون عسلي واللي عمله

عدنا إلى البيت وأنا بالطبع لا أتذكر ما حدث معي الليالي الماضية سوى أن أخي أخبرني أنه دخل غرفتي ووجدني أتحدث مع الحائط ثم فقدت الوعي.

*****

إننا نُبتلى بحب الأشياء التي تقتلنا .. الأمر يشبه مرورك بجوار منزل مهجور يبدو جميلًا جدا من الخارج وأثناء حملقتك فيه، يمر ّ أحدهم ليحذّرك ألا تحاول الدخول لكن فضول التجربة يا صديقي لا يدعك وشأنك فتشعر أنه عليكَ أن تحاول وحين تفعل ذلك تعلَق بالداخل وتخرج بعد مدة مُحمّلًا بالخسائر.

جاءت أختي وحاولت إيقاظي وبدا عليها الخوف وكأنها انتهت من مشاهدة فيلم رعب للتو.

- حبيبة اصحى

عاوزة ايه يا هدى ارحميني

- اصحي يا بنتي انا مش لاقية اخوكي خالص

شوفيه عند أي حد من اصحابه

- بقولك مش لاقياه وسألت كل اصحابه

طيب هقوم اهو

انقضى يومان ونحن نبحث في كل مكان عن أخي لكن دون جدوى ولم يتصل أحد ليخبرنا عن اختطاف أو فدية أو كل تلك الأشياء وكأن أخي ذهب بكامل إرادته.

جاء أحد الجيران لزيارتنا والاطمئنان على أحوالنا وكان صديق لأبي أيضا.

- بصي يا بنتي انا شايف انكوا تبلغوا عن اختفاؤه لأن كدة يومين وانتوا بنات ولوحدكوا ومش هتعرفوا تعملوا حاجة

والله يا عمي سيد احنا مش عاوزين نروح القسم عشان بابا ميعرفش الموضوع ده

- ماشي بس انتوا مضطرين يا حبيبة

هنحاول تاني وربنا يسهل

رحل الرجل الذي أتى لزيارتنا وجلست أختي بجواري في حزن ثم قالت:

- حبيبة احنا هنعمل ايه؟

مش عارفة والله يا هدى

- احنا لازم نكلم حد يساعدنا أو نبلّغ البوليس

بصي يا هدى لو ده خطف كان زمانهم اتصلوا يطلبوا فدية!

- ماشي يا حبيبة بس احنا لازم نلاقيه لأن احنا داخلين على أسبوع ومفيش

أي خبر عنه!!

محمود اخوكي ماشي بمزاجه يا بنتي، هو من حوالي أسبوعين فضل يتكلم

معايا ويتهمني بحاجات واني عندي أوهام وانه هيثبت براءة بابا وحاجات

كتير كدة

- مهو عنده حق

تقصدي ايه مش فاهمة؟

- بصي يا حبيبة انا نصحتك تروحي للدكتور عشان خوفت من يوم زي ده،

يوم مكونش عارفة فيه انتي بتحكي حاجة حصلت فعلا ولا من خيالك يعني

انا دلوقتي معرفش اذا كان محمود اتكلم معاكي فعلا من أسبوعين ولا انتي

اتخيلتي كدة وكمان معرفش فكرة انه مشي بمزاجه جتلك منين ولحد

دلوقتي معرفش اتهمتي بابا بناء على ايه وفين دليلك وبأي حق هو في السجن دلوقتي ومفيش ولا محامي راضي يقبل القضية وكأن حد مخوفهم أو عاملهم سِحر!!

سألتها في دهشة مُحاطة بالحزن:

وتفتكري الحد ده انا؟!

- لأ أنا مقولتش كدة بس كلامك ملوش معنى غير ده
- أرجوكي متضغطيش عليا أكتر من كدة وتعالي ندوّر على محمود وبعدين نقعد ونتكلم وانا اوعدك اني هفهّمك قصدي واعذريني لو انفعلت دلوقتي.

صدقيني يا هدى انتي مش محتاجة تقولي حاجة تاني وانا فهمت قصدك واوعدك هروح للدكتور أول ما نلاقي محمود.

مرّت ثلاث أيام دون جدوى وقررنا الاستسلام والذهاب إلى مركز الشرطة وأثناء التواجد في غرفتي لارتداء ملابسي لمحتُ خيالاً في حديقة بيتِنا ثم طرق أحدُهم الباب فناديْت أختي لتجيب.

- هدى لو سمحتي افتحي الباب

باب ايه يا حبيبة؟

- باب البيت يا هدى .. هيكون باب ايه!

بس انا مسمعتش جرس ولا حد خبّط

- افتحي بس انا سمعت خبطة على الباب

كنت على وشك الانتهاء من ارتداء أضع حجابي حين سمعت أختي تصرخ وشعرت بوخزة الدبوس في رأسي وذهبت مسرعة لأجدها مستلقية على الأرض وأخي يقف أمامها والدهشة تعلو وجهه من رد فعل أختي.

سألته في دهشة سؤال غريب جدا وكأني ظننت أني أتخيل:

- محمود!

مالكوا يا حبيبة زي ما تكونوا شوفتوا عفريت

- تعالى نفوّق هدى وهنشوف موضوع العفاريت ده بعدين

أفاقت أختي ونظرت حولها ثم قالت لي:

- انا شوفت محمود يا حبيبة

أيوة هو رجع فعلا يا هدى

- طيب ازاي وكان فين؟ ده احنا خلاص كنا هنبلّغ

كان عند خالتي في بورسعيد

- ومفكّرش حتى يكلّمنا عشان نطمّن عليه؟ هيجرالي حاجة بسببكوا

بقولك ايه يا هدى .. انا قولتلك أخوكي بيمشي بمزاجه ومصدقتيش ..

فياريت يعني مبقاش طرف في الحوار

- طيب والبيه فين دلوقتي

راح يزور الأستاذ مصطفى

- اسمه بابا مش الأستاذ مصطفى

واريڤر

- ماشي يا ستي

*****

إنّ قواعد اللغة العربية تمنع التقاء ساكِنين .. لكنّني بطريقةٍ ما .. التقيتُ بِك.

ذهبت إلى عيادة طبيب المخ والأعصاب لأريه الفحوصات التي طلبها.

ابتسم الطبيب ثم قال:

- والله بعودة يا آنسة حبيبة

ميرسي يا دكتور

- واضح من الاشعّة اللي قدامي ورسم القلب والمخ انه مش عندك اي حاجة

عضوية

مش فاهمة ..

- يعني انتي كويسة جسمانياً لكن نفسياً مظنش

مجنونة يعني

- احتمال ايوة

حضرتك ازاي تقول عليّا مجنونة؟ انا ممكن اقفلّك العيادة دي دلوقتي حالاً

- انتي سألتي سؤال وجاوبتك عليه ومش شايف اي مشكلة في كدة

انت ازاي مستفز كدة!

- وانتي ازاي حلوة حتى وانتي متعصبة!

إن الهدايا التي تأتي بشكل مفاجئ تكون جميلة جدا جدا.

- لابسة ومتشيكة ورايحة فين يا أستاذة حبيبة؟

رايحة عند الدكتور يا ست هدى

- ويا ترى اسمه ايه بقى الدكتور اللي بقيتي تروحيله من غير ما اتحايل عليكي؟

ابتسمت بشكل ملحوظ وأجبتها:

نادر .. اسمه نادر

- لأ واضح انه نادر فعلاً ..

*****

"لم يكُن أبداً من شروط الحُب أن يكونَ المرءُ مثالياً ، أحببتُ فيكِ تلك الشدة التي تُخفين بها ملامحك البريئة وحُزنِك النقيّ ، إنني يا حبيبة لا أنوي الوقوع في حُبِّك ، فمثلُك لا يجعلنا نقع بل نقف بكل قوّتنا ، هلّا كنتِ حبيبتي؟ .. إنني يا رفيقة الوَرد أحببتُ فيكِ التزامِك الصّافي واعتذارك عن التأخير لأنكِ أردتي ألّا تفوّتي الصلاه في وقتها، لم يكُن يجب أبداً أن تنعكِس أشعّة الشمس على عينيْكِ أثناء الحديث، إننا لم نتعلّم في سنين الدراسة أن نصرِف أعيننا عن اللآلئ .. ذكّريني أن أُغلق النافذة المرّة القادمة حتى لا أغرق في عيونِك التي تشبه العسل

المُصفّى .. وإلا سيضطر كلانا للبحث عن طبيب، إنني في أشد لحظات المرض وإنكِ بإذن الله الدواء".

هكذا ختم الطبيب رسالته لي وكنت أشعر وكأنّ روْحي توهّجت لكنه لا يعلم عنّي شيئاً، لا يعلم كم الحروب التي اضطررت أن أخوضها مع نفسي ومع العالم حتى أبدو بهذا الثبات، لا يعلم كم وُجّهت لي اتّهامات ..

إن الطبيب الذي ذهبتُ إليهِ لأصبح بخير، أصابه المرض.

جاءت أختي وحاولت التحدث معي حين رأتني عابِثة.

- يا بنتي بتكتبي ايه؟

معلش يا هدى مش حابة اتكلم دلوقتي

- يا حبيبة انتي بتكتبي كل حاجة بتحصل في مذكّراتك بالحرف

وإيه المشكلة طيب!

- مفيش مشكلة بس ممكن تتكلمي معايا مثلا يبقى أحسن

لأ انا مرتاحة كدة

- طيب كنت عاوزة اقولك انه قضية بابا بعد بكرة والمفروض نكون كلنا موجودين

والله يا هدى مليش مزاج اروح بس هاجي عشان خاطركوا.

"محكمة"

كان الحضور يملأ القاعة والصمت يعمّ المكان ثم جلس القاضي وأشار لرجل طويل البنية ليبدأ الدفاع فأدركت حينها أنه محامي أبي.

- إنّ موكّلي يا سيادة القاضي بريء من كافّة التّهم الموجّهة إليه، فعدم وجود دليل مادي كافي يعني بلا شك أنه لم يرتكب أي جريمة وأنّ أحدُهم يحاول الإيقاع به لكن المؤسف أنها ابنته التي تعاني من اضطرابات نفسية ومعي أوراق تثبت ذلك وبحوزتي بعض الأقراص التي كانت تتناولها كعلاج لكن

ساءت حالتها مما أدى لبعض الهلوسة والانفعالات الغير الواضحة وهذا يعني أنه لم يكن يجب أبداً الأخذ بشهادتها ضد أبيها.

كان القاضي يستمع إليه بإنصات شديد وأبي ينظر بحُزن وفي الجهة المقابلة يجلس أخي وأختي ونادر بجوار بعضهم ينتظرون الاستدعاء لمنصّة الشهود ثم ذهب المحامي وأعطى القاضي تلك الأشياء التي لا أعلم عنها شيئاً.

سأله القاضي:

- في حاجة تاني عاوز تضيفها؟

لأ دي كل حاجة ، شكرا يا سيادة القاضي بس عاوز استدعي أخت المدّعية وإبنة المُدّعى عليه لمنصة الشهود.

همس القاضي في أذن الحاجب فاستدعى أختي للمنصّة ووقف المحامي أمامها وشرع بالكلام.

- قولي والله العظيم اقول الحق

والله العظيم أقول الحق

- حبيبة أختك مريضة وبتتعاطى نوع معين من الأدوية صح؟

هي بيجيلها تهيؤات أحيانا ويغمى عليها لكن معندهاش مرض معين وكانت بتاخد مهدئات ومنوّم لكن مش باستمرار

- وده معناه إنها غير صحيحة نفسيّا

لأ يا فندم انا مقولتش كدة، أختي مرّت بصدمات نفسية لكن مش لدرجة المرض

- تمام اتفضلي مكانك

جلست أختي واستدعى الحاجب طبيبي نادر الذي ما إن قال القَسم توالت الأسئلة فوق رأسه.

- الآنسة حبيبة مريضة عند حضرتك يا دكتور؟

مظبوط

- ايه نوع المرض؟

أجابه نادر في استنكار

هو مش مرض الحقيقة .. ده حُزن ولو الهيئة الموقّرة في نظرها الحُزن

مرض، يبقى كلنا مرضى

- يعني حضرتك مش شايف إنها بتعاني من اضطراب نفسي معيّن؟

لأ يا فندم الفحوصات أكبر دليل على إنها كويسة جدا ومفيش اي مرض

- طيب ليه مازالت بتتردد على عيادة حضرتك .. هل في حاجة تانية غير

الجلسات مثلا!

احمرّ وجه نادر من شدة الدهشة ونظر إليّ فحاولت تهدئته بنظراتي فتابع قائلاً:

- أيوة في حاجة تانية ، حبيبة بتحكيلي كل حاجة حصلت من يوم وفاة والدتها

وكل كلامها منطقي ومش كلام نابع من هلوسة مريض

وإيه بقى الشيء المنطقي اللي هي قالتهولك

- إنه يوم الوفاه الصبح شافت باباها بيعمل حاجات في العربية ولما سألته

قالها انه بيصلّحها عشان بايظة وبعد الوفاه تبيّن السبب انه حد قطع

فرامل العربية

تعالت أصوات الحضور وصاح القاضي بالهدوء فصمت الجميع وكانت الدهشة تعلو ملامحهم.

فسأله المحامي وهو ينظر لي:

طيب وليه منقولش إن دي من ضمن الحاجات اللي اتخيّلتها الأستاذة حبيبة؟!

- أنا قولت لحضرتك انها مش مريضة

واختها قالت انه أحيانا بيجيلها تهيؤات

- مفيش بنت هتتخيل انه باباها سبب في موت مامتها بدون سبب!

هو حضرتك المحامي بتاعها؟

- انا بقول الحقيقة يا فندم

طيب والحقيقة دي مبنية على واقع ولا على مشاعرك تجاه حبيبة!

- مشاعر ايه حضرتك؟

ويا ترى بقى سيادتك عارف إنها كانت حامل من زوجها الاولاني واتخلّصت من الطفل!

- حبيبة مكانتش متجوزة أصلا

بس الطبيبة النفسية اللي زارتها في السجن وماتت بعدها مباشرة بنفس الطريقة اللي مامتها ماتت بيها كانت بتقول انه حبيبة أثناء التنويم اعترفت بالحمل

- الطبيبة دي يا فندم كانت والدة طارق خطيب حبيبة واللي كان سبب في موت ملك صحبتها وكان على علاقة بهدى أخت حبيبة.

شعرت أختي بصدمة شديدة من كلام طارق عن أبي وعنها، لم تكُن تعلم أنّ نادر يعرف كل ذلك .. الغريب في الأمر أني لم أخبره بها ولا أعلم من أين أتى بكل تلك الاشياء لذلك شعرت بالدهشة أيضا.

طيب وحضرتك عرفت كل ده منين؟

- معتقدش انه الطريقة هتفرق مع حضرتك

لأ طبعا تفرق لأنه كلامك ده هيخلي القضية تاخد منحنى تاني خالص.

نظر لي نادر نظرة اعتذار وقال:

- من مذكّرات حبيبة

شعرت وكأن أحدهم سكب ماءً ساخنًا جدا فوق رأسي وأخذت الأفكار في الغليان

فسأله المحامي مسرعاً:

وفين المذكّرات دي؟

- في بيت حبيبة

طيب وحضرتك يا دكتور حصلت عليها ازاي؟

- كانت مع حبيبة في جلسة وأخدتها بدون علمها

طيب وحبيبة اكتشفت حاجة زي دي؟

- ايوة ورجّعتها ليها بعد يوم لكن مقولتش إني قرأتها

لم يعرف المحامي ما يقول ونظر إلى القاضي ثم طلب منه التأجيل لحين الحصول

على المذكرات

رُفعت الجلسة

*****

أودّ أن أقول أنّ كل شخص لديه حياته وأسراره الخاصة التي لا يعلم أحد عنها شيئاً، لم يكُن يجب أبدا أن يحبّني أحدهم بدافع الشفقة ، ربما كان يجب أن يعلم الجميع عن تلك الاسرار حتى لا تزداد حياتي سوءًا.

كنت أكتب على أمل أن يجدها أحدُهم يوماً.

اليوم حدث شيئاً غريباً جدا، كنت في حفل عيد ميلاد صديقتي وذهبت إلى غرفتها لأحضر المناديل فوجدتها ملقاه على الأرض تحيطها الدماء ولم أدري ماذا أفعل سوى الصراخ لكن لم يسمعني أحد بسبب الموسيقى الصاخبة فقررت النزول للأسفل وبمجرد أن وصلت كانت صديقتي تطفئ الشموع فعدت مسرعةً إلى غرفتها ولم أجد شيئاً.

لم أصدّق ما حدث وحاولت إقناع نفسي أني كنت أتخيل.

في اليوم التالي ذهبتُ إلى الجامعة لأجد صديقاتي يتحدّثن عن خبر وفاتها والطريقة الشنيعة التي ماتت بها .. هجوم حيواني!

لم أستطع تحمّل الخبر فاتّجهت بعيداً عنهم وصرت باتجاه الغابة وشعرت وكأنّ أحدُهم يتبعني فتوقّفت ونظرت خلفي لأجد طارق، ذلك الفتى الوسيم الذي يمتلك عيوناً عسلية تشبه الشمس قبل الغروب.

اقترب منّي وقال:

- ازيك يا انسة حبيبة

الحمد لله

- انا اسف اني مشيت وراكي بس كنت عاوز منك طلب

خير يا مستر اتفضل

- كنت عاوز رقم باباكي لأني عاوز اتقدملك

بس انا معرفكش أصلا

- ماحنا هنتعرّف بس بعد الخطوبة إن شاء الله

طيب وليه واثق كدة إننا هنوافق

- مش معقول توافقي في الحلم وترفضي في الواقع

تمّت خطبتي على طارق وكنت سعيدة جدا لكن كالعادة لم تكتمل فرحتي ليس لأني لا أمتلك القدر الكافي من الحظ بل لأني محظوظة إلى أبعد حد.

أيقظتني أختي وكانت تحمل كوب ماء

- حبيبة

نعم يا هدى

- انتي نايمة بقالك كتير واحنا قلقانين عليكي

حاسة بصداع فظيع جدا يا هدى .. هو انا نايمة بقالي أد ايه؟

- انتي نايمة من امبارح المغرب والعصر قرّب يأذّن

يا نهار ابيض! كويس انك صحّيتيني

- انتي كويسة؟

حلمت حلم بشع جدا يا هدى

- حلم ايه؟

هو بابا فين؟

كانت تصارع دون أن يدري أحد، فحبيبتي لم تستطع أبداً البوْح بما يدور في صدرها وحين اكتشفت إصابتها بالمرض ظلت صابِرة محتسبة حتى لا تصيبنا بالحُزن.

تم تشخيص حبيبة في العاشر من فبراير الماضي بورم في الدماغ وحين أردت إخبار عائلتها جعلتني أقسِم على ألّا أفعل وأن أتركها ترحل بسلام.

كان ما يقلقني حقاً تلك الأشياء التي أخبرتني أنها تراها وتشعر بها وكأنها حقيقية وطلبت منّي ألا أعاملها على أنّها مريضة وفعلت لأني أحببتها جدا للحد الذي لا حد له حتى إن ضحكاتها العالية لم تفارق عقلي .. تلك الضحكات التي كانت تطلقها أثناء حديثها عن محاولة إقناع أبيها أنها ذاهبة لزيارة صديقتها ملك.

كنت أشعر دائماً أنّنا جميعاً مرضى وأنّ حبيبة ومن مثلها هم الوحيدون الذين يملئون العالَم بالخير.

حبيبَتي كانت تصلّي أولاً ثم تفعل كل الأشياء الأخرى.

أتذكّر أنّها في أحد المرّات أتتني باكية فظننت أنّهم علموا بالأمر في بيتِها لكنّها كانت تبكي لأنها لم تدرِك صلاة العصر في اليوم السابق.

كانت تخرج من جلسة العلاج الإشعاعي مبتسمة وكأنّ الأميرة خاصّتي عادت من حفلٍ للتوّ.

أخبرتها أن المرض يسبّب لها اضطراب في التفكير والنوم ونوع من الهلوسة وأنّه يجب أن يعلم عائلتها في القريب العاجل لكنها رفضت بشدة وأخبرتني أنها أعطتهم القدر الكافي من الحُزن حين رحل طارق وأنّه ليس من العدل أن تمنحهم جرعة أخرى من الألم.

إننا في منتصف إبريل وإن رائحة الياسمين تملأ الجو وكأنها رائحتُك وأراكِ ترتدين تاجاً من الورد وتتجولّين في الطرقات مانِحة بستان الورد المقابل لعيادَتي شيئاً من عِطرك، ذلك العطر الذي يفوح من روحِك.

"خايفة تقع في حبّي".

هكذا ختمتي آخر لقاء حين التفتّي لتودّعيني فابتسمت لكِ على أمل أن أخبركِ في اليوم التالي أنّ الثبات أمامَ قلبِك جهاد يا سيدتي الأنيقة.

إني بحق الله غفوْت

وإنّ روْحِك لروْحي

وإن كنتي ألمًا عابرًا

لكني مُكابِرٌ و عفوْت

أميرتي ما أنا بملاكٍ

حتى وإن تجمّلت

لم أكُن أبداً شاعراً

لكنّي في ذِكْر حُسنِك كتبت

من مجهولٍ إلى

تلك التي تشبه الورد

- أنا شايفة انه غلط ننشر مذكّراتها يا دكتور نادر

لازم يا هدى .. لازم العالم كله يعرف أد ايه حبيبة كانت إنسانة جميلة وان الأرواح اللطيفة وجودها مؤقت حوالينا.

- بس دي أسرارها وفي حاجات محصلتش وكانت بتتخيلها بسبب المرض

الحقيقة الوحيدة الثابتة في كل كلمة كتبتها يا هدى وكل حاجة حسّت إنها بتحصل حواليها ومشاركتهاش مع حد إن حبيبة لما حبّت كانت بتحب بدون مقابل.

*****

يقولون أنّ الصمت في حرم الجمال جمال وأنا أظنّ أن الصمت في حضرة الحُب محض خيال، ربما في عالم آخر تلتقي كل حبيبة بذلك النّادر، ربّما تجمعهم الفرْدوس.

نبذة عن المؤلّفة

الاسم: غادة خالد الحداد

مصر _ الشرقية

حاصلة على شهادة من كلية التربية قسم اللغة الانجليزية - جامِعة الزقازيق

"لي مجموعة قصصية تمّت ترجمتها للانجليزية وتلاها ديوان شعر على وشك الاكتمال"

أعمال سابقة النشر:

لا يوجد